جمعيّة تراث بيروت
BEIRUT HERITAGE SOCIETY

Heritage تراث

نشرة شهرية الكترونية
العدد رقم 18
كانون ثاني 2026

مَنْ يفتح الأبواب ... ؟

نبيل شحادة

وأنت تمشي، اليوم، في شوارع بيروت، تشعر وكأن هذه المدينة غادرت حيّزها من الجغرافيا لتحطّ في بُعدٍ ثقيل لا يتقبله عقلٌ، ولا يرضى به منطق سليم. فوضى في حركة السير، تعدّيات على الأرصفة، غياب مرعب للقوانين، وجدران تختنقُ بالصور واليافطات والشعارات، تُنبئُكَ بأنّها فقدت ملامحها وهيبتها، وصارت مجرد مساحة رمادية فارغة ومستباحة.

هذه المقدمة ضروريّة، لأقول، أنّ بيروت قبل أن تكون إسمنت وأعمال وشوارع وأسواق، كانت دائماً حاضنة اجتماعيّة، وملتقى عائلات، ومساحة يوميّة للقاء، والتواصل، والتعارف. هي مدينة قامت على البيوت المفتوحة، والموائد الممدودة، والجلسات المشتركة، والروابط والصداقات، ولتتحوّل ملاعب الحياة والفرح هذه، وضجيجها الآسر المحبّب، إلى مكعبات صمت وسكون، وفراغ وبُعد، بفعل المتغيّرات والتبدّلات، فبات العلم، وعلوّ المناصب، وحيازة الأموال، مدعاة للابتعاد عن الأهل، والانزواء خلف الجدران.

بيروت لا تعود لنا، إذا لم نعُد إلى سيرة من سبقنا في فهم الحياة، وتقديرهم لكلّ شيء كان من حولهم. في اللغة، في العلاقات، في التواضع والترابط، والبساطة والأريحيّة دون كلفة، ودون ادّعاء وتفاخر ممقوت، ودون انتظار لقرار من جهة أو مؤسّسة.

الفكرة الأساسيّة من هذه الكلمات، ليست أن نفعل شيئاً استثنائيًّ ا من أجل بيروت، وأن نتحدّث عن مشاريع وخُطط، وحركة استنهاض جماعيّة، بل هي دعوة هادئة لأن نكفّ عن عيش حياتنا بطريقة تُناقضها. بيروت القديمة التي عاش أجدادنا وجدّاتنا بها، كانت تقوم على فسحة في الكلام والتخاطب والزيارات، وعلى قبول التداخل والمشاركة في الحديث دون مقدمات وإشعارات مسبقة، وعلى قدرة نادرة على الجلوس مع الآخر دون غاية وهدف أو مصلحة.

بيوتنا، اليوم، أصبحت قلاع بلا روح، ومحصّنة ضدّ الآخر، ويصعب على قريب أو صديق، أو حتى زائر أن يدخلها. ونُلبسُ تلك المأساة الاجتماعيّة، صفة حضاريّة وعصريّة تحت مسمّى الخصوصيّة.

بيوت المدينة وشققها، التي تبدو أحياناً وكأنّها صالات بيع للمفروشات المنزلية من كثرة الانفاق على فخامتها، لم تعد تحتمل زيارة قريب، أو حتى جلسة مع صديق. أين المشكلة في اجتماع العائلة مرة واحدة في الأسبوع في بيت أحد أفرادها. بلا مناسبة وبلا تكليف وبلا مظاهر، مع فنجان قهوة، أو قالب "كاتوه شغل البيت وملطوع". أين المشكلة في أن نكون جميعنا أشخاصاً طبيعيّين، نُزيل الأقنعة، وننزل من سلم الطبقية الفارغة التافهة، والتشاوف المقيت في مظاهر المأكل والملبس وغيرها. لماذا لا تعود عائلاتنا إلى الاجتماع بحضور الكبار والصغار معاً، وتُروى الحكايات والأخبار دون حساسيّة، ودون خوف من انتقاص. نُظهر لبعضنا اختلافاتنا، ونتقبلها بوعيّ وهدوء وثقة، وضحك عابر. جلسات العائلات هذه أصبحت أكثر من واجب، إنّها ضرورة، كي تبقى بيروت حيّةً فينا، وتُستعاد فيها العلاقة بين الأجيال، وتحيا الذاكرة وتتألق، وتنتقل من كبير إلى صغير. اجتماعات ليست للعودة إلى الماضي، بل لإعادة بناء ما انهار في دواخلنا، وللتمتّع بلحظة الحاضر، وحماية المستقبل، وكي يبقى الإنسان في قلب بيئته وأهله، وفي وجدان المدينة وروحها وضوضائها، لا فرداً معزولاً يعيش في غيابات شرانق الفردية، والجشع والأنانية.

اطلالة على كتاب "بيروتنا"

علي رشيد غلاييني

يأتي اختيار كتاب «بيروتنا» لمختار عيتاني وعبد اللطيف فاخوري موضوعًا لهذه القراءة في إطار اهتمامي بكتابات الذاكرة المدينيّة لبيروت، ولا سيما تلك التي تنطلق من الحياة اليوميّة بوصفها مدخلًا لفهم التحوّلات الاجتماعيّة والثقافيّة التي عرفتها المدينة. وقد تعزّز هذا الاهتمام بسياق شخصيّ يتمثّل في اطّلاعي المبكر على الكتاب من خلال نسخة كانت في حوزة والدي، أُهديت إليه من صديقه أحد مؤلفي الكتاب، العميد مختار عيتاني، ثم انتقل لاحقًا إلى مكتبتي الخاصّة، ما أتاح لي قراءة العمل ضمن سياقه..

وفي مرحلة لاحقة، أتاح التعارف مع الأستاذ عبد اللطيف فاخوري، في إطار لقاءات تُعنى بتراث بيروت، إعادة وصل هذه القراءة بسياقها الثقافي الأوسع. وقد أسهم هذا التلاقي في إعادة النظر في الكتاب بوصفه وثيقة ذاكرة مدينيّة، تتجاوز قيمتها البعد الشخصيّ إلى موقعها ضمن أدبيات الكتابة عن بيروت. ومن هنا، تنطلق هذه القراءة من محاولة مقاربة «بيروتنا» مقاربة تحليليّة، تأخذ في الاعتبار طبيعة العمل ومنهجه وحدوده، ضمن سياق دراسات الذاكرة والمدينة.

يقدّم كتاب «بيروتنا» لمختار عيتاني وعبد اللطيف فاخوري مقاربة مختلفة لكتابة المدينة، تخرج عن إطار التأريخ الرسمي وتبتعد عن السرد السياسي، لتتموضع في مساحة الذاكرة الاجتماعية والثقافية. فالكتاب لا يسعى إلى توثيق الأحداث الكبرى، بقدر ما يركّز على التفاصيل اليومية التي شكّلت، في مجموعها، ملامح بيروت كما عاشها أهلها قبل التحولات العميقة التي أصابت بنيتها العمرانية والاجتماعية.

تنطلق أهمية هذا العمل من كونه يعيد الاعتبار لما يمكن تسميته "التاريخ الصغير" للمدينة، أي ذلك التاريخ غير المدوَّن في السجلات الرسميّة، لكنه محفوظ في الممارسات والعادات وأنماط العيش. ومن خلال استحضار المقاهي، والأحياء، والعلاقات الاجتماعية، والمهن والعادات التي اندثرت أو تراجعت، يرسم الكاتبان صورة لبيروت بوصفها فضاءً إنسانيًا قبل أن تكون مركزًا عمرانيًا أو سياسيًا. هذا الخيار المنهجي يمنح الكتاب قيمة توثيقية موازية، وإن كانت غير تقليدية، تقوم على الذاكرة الجماعية أكثر مما تقوم على الأرشفة الصارمة.

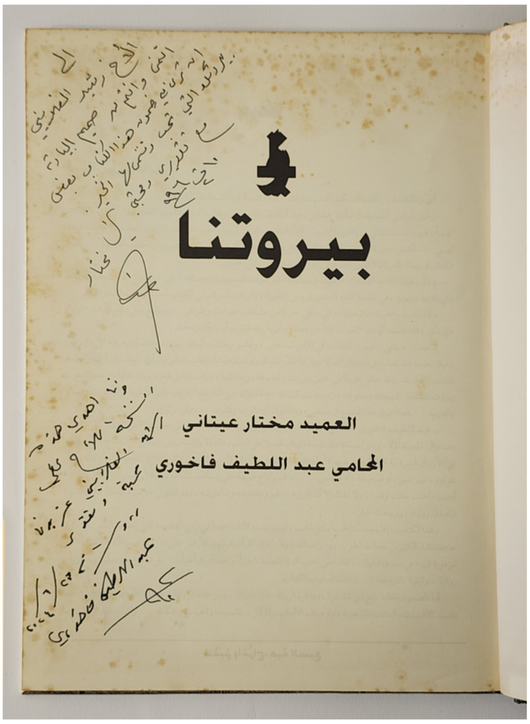

يعتمد «بيروتنا» لغة سردية واضحة، تميل إلى البساطة وتتفادى التعقيد البلاغي، وهو خيار يتماشى مع طبيعة الموضوع. فاللغة هنا تؤدي وظيفة نقل التجربة لا استعراض المهارة الأسلوبية، ما يجعل النص قريبًا من القارئ، وقادرًا في الوقت نفسه على الحفاظ على حدٍّ أدنى من المسافة النقدية. ورغم الحضور الواضح للحنين، لا يسقط الكتاب في تمجيد غير نقدي للماضي، بل يقدّم هذا الماضي ضمن سياقه الاجتماعي، مع الإيحاء بأنّ ما فُقد لم يكن زمنًا مثاليًا بقدر ما كان نمطًا مختلفًا من العيش المشترك.

ومن اللافت أنّ الكتاب يترك مساحة للقارئ كي يعقد مقارنة ضمنيّة بين بيروت الأمس وبيروت اليوم، من دون أن يفرض أحكامًا مباشرة أو خطابات إدانة صريحة. فالنقد فيه يأتي عبر التلميح لا التصريح، وعبر إبراز التحوّل في العلاقات الإنسانية قبل الحديث عن التغيّر العمراني. وهذا ما يمنح النصّ بعدًا تحليليًا غير مباشر، يجعله صالحًا للقراءة الأكاديمية في سياق دراسات الذاكرة الحضرية أو علم الاجتماع الثقافي.

-تابع-

في هذا الإطار، يمكن النظر إلى «بيروتنا» بوصفه مساهمة في حفظ الذاكرة المدينية، لا من خلال إعادة إنتاج خطاب النوستالجيا، بل عبر تثبيت صورة اجتماعية لبيروت في لحظة تاريخية آخذة في التلاشي. فالقيمة الأساسية للكتاب لا تكمن فقط في ما يرويه، بل في ما يفتحه من أسئلة حول معنى المدينة، وحدود التحوّل، ودور الذاكرة في مواجهة النسيان.

وبذلك، يشكّل «بيروتنا» نصًا وسيطًا بين الأدب والتوثيق، وبين السرد والبحث الثقافي، وهو ما يجعله عملًا قابلًا للتوظيف في الحقول الأكاديمية المعنية بدراسة المدن، والهوية، والذاكرة الجماعية، من دون أن يفقد في الوقت نفسه جاذبيته للقارئ غير المتخصص.

بالبيروتي

مروان جارودي

قرب كنيسة المزرعة وقع ولد من الشرفة، فرآه جاره الحاج نقولا مجدلاني، وهو يعلم أنّ والده مسافر، فأخذه إلى طوارئ مستشفى الجامعة الأميركيّة، الذين طلبوا منه دفعة، وهو لا يملك المبلغ، فعاد إلى منزله وأحضر لهم حجّة البيت كرهن وتأمين، وبعدها أدخلوا الولد للمستشفى وبقي عدة أيام للعلاج.

عندما عاد والده وسدّد الحساب، أعطوه حجّة البيت، فلم يصدق أنّ جاره ورغم التقائه به، ومعرفته بالذي حدث، وشكره على إنقاذ ابنه، لم يخبره بقصة حجّة البيت.

فعاد للحاج نقولا، ولا يعرف كيف يردّ له الجميل الذي حمله بعنقه كلّ العمر.

قصة منذ أكثر من نصف قرن، ولا تزال منطقة المزرعة تذكرها بخير.

بالبيروتي.. هذا هو تراثُ بيروت .

قيل في التراث

تبرز أهمية الماضي في تشكيل الهوّية والمستقبل، وتُؤكّد أنّ "من ليس له ماضٍ.. ليس له مستقبل"، وأنّ "التراث ليس عائقًا، بل مصدر إلهام وحكمة".

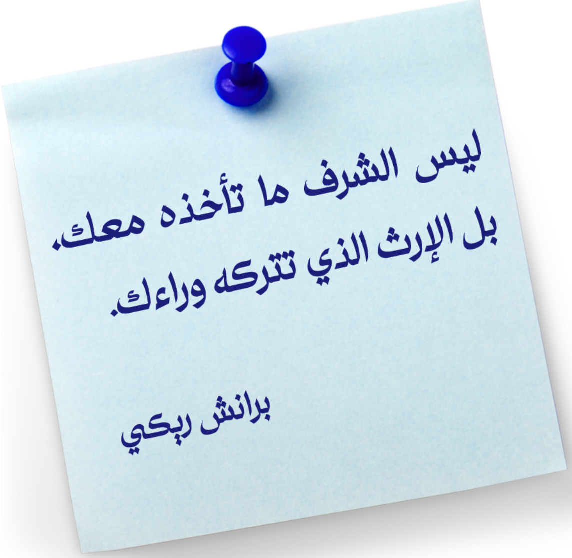

من تراث بيروت - مستشفى ربيز

عبد الفتاح خطاب

عائلة ربيز هي من العائلات الأرثوذكسية الأساسيّة في رأس بيروت، تخرّج نقولا ربيز كطبيب من الكلّيّة السوريّة الإنجيليّة في العام 1906، وكان طبيب توليد ومن أشهر الجراحين العامّين، وذاع صيته في مختلف أنحاء العالم.

شيّد مستشفى ربيز عام 1908م في رأس بيروت على أرض تملكها عائلته، كانت تغطيها أشجار التوت، عند تقاطع شارع كليمنصو وشارع روما اليوم، في مكان بناية التاجر حالياً. وتحوّلت إلى واحدة من المستشفيات المهمّة في المشرق العربي، يؤمّها المرضى من سائر الأقطار العربيّة ولا سيّما في الحالات المرضيّة المستعصيّة.

وكان بناءً حديثاً بثلاثة أقسام (ذكور، إناث، وموظفين)، ويضمّ أجنحة وغرفاً، ويشغله أطباء وممرضين وممرضات وصيادلة، وقد كان علامة فارقة في تاريخ المستشفيات في بيروت.

وكانت الإدارة تمنح جائزة للعاملين في المستشفى، المتفانين في خدمة المرضى، كناية عن ساعة جيب سويسريّة من نوع "كورتيبير" (Cortébert) من الذهب عيار ١٨ قيراط تحتوي على 17 حجر ياقوت.

وقد قرّر المجلس النيابي في دورته العاديّة الثانية عام 1924، تخصيص إدارة مستشفى بشخص الدكتور نقولا ربيز مبلغ 1000 ليرة إعانة هامّة (حوالي 20 ألف فرنك فرنسي، أو ألف دولار أميركي) نظراً لما يقوم به صاحب هذا المستشفى من الخدمات.

أطباء عملوا في المستشفى

عمل الدكتور جورج إلياس بخعازي في المستشفى، وتولى إدارته لفترة، وهو الذي أسّس مستشفى تحمل اسمه بعد إقفال مستشفى ربيز سنة 1962م.

بدأ الدكتور محمد خالد (مؤسّسات محمد خالد الاجتماعيّة) عمله كطبيب في مستشفى ربيز، وفي عام 1932 افتتح مستشفاه في البسطة التحتا، الذي استمرّ نشاطه إلى عام 1975.

عمل الدكتور الجراح بشارة نجيب دهان في مستشفى ربيز، وهو مؤسّس لجنة «كلّ مواطن خفير»، وانتخب عضواً في بلدية بيروت، وكان له اسهامات هامّة، ورأس بعثة الصليب الأحمر إلى فلسطين عام 1948.

درس الطبيب الشاعر محمود توفيق بصبوص الطبّ العام في جامعة لوزان في سويسرا، وبعد عودته للبنان عمل طبيباً في مستشفى ربيز.

من أشهر مرضى المستشفى

من أشهر مرضى المستشفى، الأديبة مَي زيادة، وقد زارها الرائد النهضوي والأديب المهجري أمين الريحاني مرتين في المستشفى في أواخر كانون الاول 1937. كما زارها رئيس الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ أنطون سعادة في كانون الثاني 1938. ومن زوارها أيضاً، أحفاد الأمير عبد القادر الجزائري، أحمد ومختار وبدريّة.

دخل أمين الريحاني إلى مستشفى ربيز نتيجة سقوطه عن دراجة هوائية اعتاد أن يركبها على طرقات الجبل الملتوية حول قريته (الفريكة)، وأدّت السقطة إلى رضوض وجراح في رأسه ورجليه، وطلب منه الأطباء أن يبقى في سريره دون حراك ريثما يُفكّ قالب

الجبس من حول رجليه، وبعد أسبوعين تقريبا شكا من جرح في أسفل ظهره ومن حرارة مرتفعة ناتجة عن ذلك، وأظهرت الفحوص أنّ تسمّمًا بدأ يدّب في جسمه رغم المعالجة. وبعد أن فقد الأطباء الأمل من شفائه اقترحوا العودة به إلى منزله، وتوفي في اليوم الثالث من عودته في ١٣ أيلول ١٩٤٠.

في الثاني من شباط 1951 حصلت أعنف المواجهات في ساحة البرج، وأصيب عدد كبير من الطلّاب بجروح جراء الضرب بالهروات من قبل قوى الأمن، من بينهم الطالب فرج الله حنين (أول مسؤول لقطاع الشباب في الحزب الشيوعيّ اللبنانيّ)، الذي نقل للعلاج في مستشفى رزق، وتُوفي بعد أشهر نتيجة نزيف في الدماغ والمعدة، واعتُبر أول شهيد للحركة الطلّابيّة في سبيل المطالبة بتأسيس الجامعة اللبنانيّة.

مستشفى رزق والشعراء

ألمّ داء بالشاعر بشارة الخوري (الأخطل الصغير) فدخل مستشفى رزق، وصادف أن نام في السرير نفسه الذي لازمه من قبل نائب محافظة البقاع شبل دموس (أشرف مع ميشال شيحا على وضع الدستور اللبناني)، فجال الشعر في خاطره ونظم قصيدة معاتباً بها دموس مطلعها: "يا شبل طويت شبلاً ... وطبت بعضًا وكلاً".

أما الشاعر نسيب أرسلان فقد كتب قصيدة جاء فيها: "إذا عاينت مستشفى رزقٍ ... لفظت من الدعاء لمن بناه، أخصّ وسائلَ التمريضِ فيه ... وسيماء السلامة في ذراه".

أخبر الشاعر كروان الوادي (كميل خليفة) صديقه الشاعر بديع مقصود أنّ معه قرحة في المعدة، فقال له بديع: معك وسواس! فانتفض الكروان وقال: صرت مصوّر 20 صورة، وكلّن طلع فيهن قرحة. وحبكت النكته مع بديع فأنشد يقول: "اللّه يلعن هالصّوره... كيف مطعوجه ومكسوره، آخرتك مستشفى رزق... وفرمشيّة قدّوره". فأجابه الكروان: "صورة قرحا وبشعه كتير... ومطبوعة بقلب كتابك، وأبشع منّا ما بصير... إلا صورة جنابك".

بيروت في الطوابع اللبنانية ...

محمد الحموي

ظهرت بيروت هذه المرة من الناحية البريدية، فمع اكتمال عملية نهوض وإعادة إعمار قلب بيروت، وإعادة تدشين مبنى البريد ووزارة الاتصالات، صدر طابعان عام ٢٠٠٤ يصوران مبنى البرق والبريد في شارع المصارف الذي يعكس عودة دور بيروت الريادي كصلة وصل مهمة بين مختلف المدن.

قال المثل

بكانون الأصم اقعد ببيتك وانطم،
لأنه بنزل من العيون دم.

www.beirutheritage.org
facebook/BeirutHeritage
instagram/beirutheritage

جمعية تراث بيروت، تعنى بنشر الوعيّ لأهميّة المحافظة على تراث بيروت الثقافي والفني والمعرفي والشعبي، والعمل على توثيق تاريخها، ونمط عيش أهلها وتقاليدهم.